

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ 15 ذو القعدة 1442 هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ جَاءَتْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ مَعًا، وَجَعَلَتْهُمَا مَطْلَبًا شَرْعِيًّا وَضُرُورَةً
 إِنْسَانِيَّةً؛ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، كَمَا
 حَدَّثَتْ مِنَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَبَيَّنَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ ذَمِيمٌ يَبْغِضُهُ اللَّهُ ﷻ؛ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا
 يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو
 دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
 «الْغَزْوُ غَزْوَانٍ: فَأَمَّا مَنِ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَأْسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ
 الْفُسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي
 الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ». قَالَ الْعَظِيمُ آبَادِي رَحِمَهُمُ اللَّهُ: قَوْلُهُ «فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»: أَيُّ لَمْ
 يَرْجِعْ لَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ مِنْ ثَوَابِ تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَعِقَابِهَا، بَلْ يَرْجِعُ وَقَدْ لَزِمَهُ الْإِثْمُ؛ لِأَنَّ الطَّاعَاتِ إِذَا لَمْ
 تَقَعْ بِصَلَاحِ سَرِيرَةٍ انْقَلَبَتْ مَعَاصِي، وَالْعَاصِي آثِمٌ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْمُتَمَلِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ قَدْ أَوْلَى الْحَدِيثَ عَنِ الْفُسَادِ وَمَخَاطِرِهِ عِنَايَةً
 خَاصَّةً، فَقَدْ أَخْبَرْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ،
 وَيُحَدِّثُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ؛ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي
 وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفُسَادَ دَاءٌ يَقْتُلُ الْمُجْتَمَعَ، وَيَقِفُ عَقْبَةً فِي سَبِيلِ
 الْبِنَاءِ وَالتَّنْمِيَةِ، وَيُبَدِّدُ الْمَوَارِدَ، وَيُهْدِرُ الطَّاقَاتِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِلْفَسَادِ صُورَهُ الْمُتَنَوِّعَةَ:

مِنْهَا: الْإِحْتِكَارُ، وَبَخْسُ الْمَوَازِينِ، وَتَطْفِيفُ الْكَيْلِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿*أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. وَمِنْهَا: الْإِخْتِلَاسُ، وَالرِّشْوَةُ، وَالْغِشُّ، سَوَاءً أَكَانَ غِشًّا فِي الْكَمِّ بِتَطْفِيفِ الْكَيْلِ أَوْ الْمِيزَانِ أَوْ الْمَقْيَاسِ أَوْ الْكَمِّيَّاتِ، أَمْ فِي النَّوعِ بِمُحَاوَلَةِ إِظْهَارِ الرَّدِيِّ فِي صُورَةِ الْجَيِّدِ، كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي».

وَمِنْهَا: الْإِعْتِدَاءُ عَلَى أَمْلاكِ الدَّوْلَةِ وَالْمَالِ الْعَامِّ. أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ، فَلَمْ نَعْنَمْ إِلَّا الْأَمْوَالَ وَالْمَتَاعَ وَالثِّيَابَ، فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، يُقَالُ لَهُ: رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَامًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ: مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَادِي الْقُرَى، بَيْنَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ سَهْمٌ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَأَلَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا» فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ، أَوْ بِشِرَاكَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ».

وَمِنْ صُورِ الْفَسَادِ الْمُعَاصِرَةِ: اسْتِغْلَالُ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ فِي نَشْرِ الشَّائِعَاتِ وَتَرْوِيحِهَا، وَالتَّجَسُّسُ عَلَى النَّاسِ، وَاخْتِرَاقُ خُصُوصِيَّاتِهِمْ، وَتَتَبُّعُ عَوْرَاتِهِمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُعَدُّ تَهْدِيدًا لِأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَهَذَا مِنَ الْإِرْجَافِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ؛ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿*لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٠﴾،
 وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ
 وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
 وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٢﴾، وَيَقُولُ ﴿١٠٣﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
 الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾.

وَمِنْهَا: تَخْرِبُ وَتَدْمِيرُ الْمُنْشآتِ الْعَامَّةِ وَإِتْلَافُهَا. وَهَذَا أَحَدُهُمْ يُفْتِي بِجَوَازِ حَرْقِ سَيَّارَاتِ الْجَيْشِ وَالشَّرْطَةِ؛
 لِأَنَّ هَذَا حَقُّ الْمُتَظَاهِرِينَ.

وَمِنْهَا: مَا يَقُومُ بِهِ الْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ مِنَ التَّفَجِيرَاتِ وَالْإِغْتِيَالَاتِ بِاسْمِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَتَلُوا الْجُنُودَ
 وَهُمْ يُفْطِرُونَ فِي رَمَضَانَ عَلَى تُغُورِ الْوَطَنِ، مُسْتَخْدِمِينَ أَحَدَثَ الْأَسْلِحَةِ وَوَسَائِلِ الْحُرُوبِ بِاسْمِ الْجِهَادِ،
 وَقَتَلُوا الْمُصَلِّينَ الْعَزَلَ فِي مَسَاجِدِنَا وَهُمْ سُجُودٌ بِاسْمِ الْجِهَادِ. وَالْجِهَادُ مِنْ ذَلِكَ بُرَاءٌ.

وَلَقَدْ قَدَّمَ جُنُودَنَا الْأَبْطَالَ أَرْوَعَ صُورِ التَّضْحِيَةِ وَالْبُطُولَاتِ فِي صَدِّ عُدْوَانِ هُوَلَاءِ، وَسَمِعْنَا مِنْ قَصَصِهِمْ مَا تَقَرَّرَ
 بِهِ الْعَيْنُ، وَيَنْشَرِحُ لَهُ الصَّدْرُ، وَتَسْعَدُ بِهِ النَّفْسُ.

وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ كَيْدَ الْأَعْدَاءِ فِي الدَّخْلِ وَالْخَارِجِ، وَأَنْ يَحْفَظَ جَيْشَنَا وَوُلَاتَنَا وَقَادَتَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

وَمِنْ أَعْظَمِ صُورِ الْفَسَادِ: التَّغْرِيرُ بِالشَّبَابِ الْجَاهِلِ الْمُتَحَمِّسِ فِي قَضَايَا مُهِمَّةٍ جِدًّا مِنْ أُصُولِ السُّنَّةِ، يَنْحَرِفُ
 فِيهَا الشَّبَابُ عَنِ الْحَقِّ؛ فَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْإِعْدَامِ وَالْقَتْلِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ تِلْكَ الْفَتَاوَى الْمُضِلَّةُ لِمَنْ
 يَتَسَبَّبُ كَذِبًا وَزُورًا لِمَنْهَجِ السَّلَفِ، مِمَّنْ قَالَ مُتَأَلِّمًا، مُتَحَسِّرًا، مُتَأَسِّفًا عَلَى مَنْ اعْتَبَرَ حُكَّامَنَا وَوَلَاةَ أَمْرِ شَرْعِيِّينَ،
 فِي كِتَابِهِ: «فِقْهُ الْخِلَافِ»: «وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَبُولَ بِتَصَدُّرِ أَمْثَالِ هُوَلَاءِ، وَرِيَّاسَتِهِمْ لِلْمُجْتَمَعِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَلَايَتِهِمْ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ - وَوَلَايَةُ شَرْعِيَّةٌ - يُؤْمَرُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْإِعْتِرَافِ لَهُمْ بِحَقِّ التَّوَجِيهِ، وَالْأَمْرِ

وَالنَّهْيِ، مِنْ أَعْظَمِ مَا يُؤَدِّي إِلَى فُرْقَةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَلَاكِهِمْ فِي طَاعَةِ هُوَلَاءِ. وَلِلْأَسْفِ، فَهَذَا مَذْهَبُ الْبَعْضِ مِنْ

أَبْنَاءِ الصَّخْوَةِ، يَرُونَ هَؤُلَاءِ الدُّعَاةَ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ وَوَلَاةَ أَمْرِ شَرَعِيِّينَ. اهـ

وَقَالَ فِي «السَّابِقِ»: خُلَاصَةُ الْعِلَاجِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَذَكَرَ عِدَّةَ أَسْبَابٍ لِلْعِلَاجِ: أَنْ يُتَّفَقَ عَلَى تَحْذِيرِ النَّاسِ مِنَ الدُّعَاةِ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ - يَقْصِدُ الْحُكَّامَ -، وَمَعْرِفَةَ ضَرَرِهِمْ، وَانْعِدَامِ وَلَايَتِهِمْ شَرْعًا، وَإِنْ اسْتَقَرَّتْ وَاقِعًا. وَالصُّورَةُ الْمُثَلَى لِعَوْدَةِ الْخِلَافَةِ عِنْدَ هَذَا:

مَا قَالَهُ فِي كِتَابِهِ: «الْعَمَلُ الْجَمَاعِيُّ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ»: وَالصُّورَةُ الْمُثَلَى لِعَوْدَةِ الْخِلَافَةِ مِنْ غَيْبَتِهَا، أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَجْتَمِعِينَ عَلَى مُطَاعٍ، هُوَ أَمْتَلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ؛ لِلْقِيَامِ بِالْمَقْدُورِ عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ [وَمِنْهَا الْجِهَادُ]، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ اسْتَقَلَّ كُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ بِعَالَمِهِمْ إِلَى أَنْ يَتَيَسَّرَ جَمْعُهُمْ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى جَمْعِهِمْ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ اهـ

وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: «الْعَمَلُ الْجَمَاعِيُّ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ»: وَلَا يَقُولُ بِهِ فِي زَمَانِنَا إِلَّا مَنْ يُنْكِرُ شَرْعِيَّةَ قِيَامِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ لَا تُقَامُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ، وَلَا يَتِمُّ التَّعَاوُنُ وَالِاجْتِمَاعُ إِلَّا بِقِيَادَةِ وَطَاعَةِ وَجُنْدِيَّةٍ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْقُضَاءَ عَلَى الْفَسَادِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾.

وَلِلْأَسْفِ، بَعْضُ النَّاسِ يَتَعَاطَفُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» عَنِ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُمُ الصِّدِّيقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هَذَا مَعَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَاتِلِهِمْ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا رَوَى مِنْ أَنَّهُمْ: «شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرٌ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوهُ»، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو أَمَامَةَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. أَيُّ أَنَّهُمْ شَرُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَرًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، لَا الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَهِدِينَ فِي قَتْلِ كُلِّ مُسْلِمٍ لَمْ يُوَافِقْهُمْ، مُسْتَحْلِينَ لِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ، مُكْفَرِينَ لَهُمْ، وَكَانُوا مُتَدَيِّبِينَ بِذَلِكَ؛ لِعَظَمِ جَهْلِهِمْ وَبِدْعَتِهِمُ الْمُضِلَّةَ.